العرب
الأربعاء 2021/09/29
السنة 44 العدد 12194

أفلام تحتفي بقوة الفن التشكيلي وعالمية الشعر الإيطالي

مهرجان بيروت للأفلام الفنية الوثائقية.. جولة أخرى تتحدّى الألم

حرص منظمو مهرجان الأفلام الفنية الوثائقية في لبنان على أن يعرضوا، كما كل سنة منذ تأسيسه إلى الآن، أفلاما وثائقية بمناسبة ولادة فنان عالمي كان له أثر كبير في مجتمعه بشكل خاص والعالم بأسره بشكل عام. وإن كانت السنة السابقة قد شكّلت تحية للموسيقار الألماني العبقري بيتهوفن في فيلم حمل عنوان "تاسعة بيتهوفن - سيمفونية العالم"، فهذه السنة جاء الدور على الشاعر الإيطالي العالمي دانتي أليغييري في ذكرى مرور سبع مئة عام على رحيله.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

كلما عاد فصل الخريف، وتحديدا شهر سبتمبر، عاد معه مهرجان بيروت للأفلام الفنية الوثائقية متجاوزا مرة أخرى الأزمات التي باتت سنوية في لبنان، بدءا بالتشرذم الفني المؤسساتي المُستفحل في لبنان الذي واجهته أليس مغبغب، مُطلقة المهرجان، فذلّلت العراقيل الواحدة تلو الأخرى حتى أثبتت حضوره بقوة على الساحة ليس فقط اللبنانية بل والعالمية.

وحرصت مغبغب، التي تملك صالة فنية مرموقة في بيروت تحمل اسمها، على أن تجمع من حولها بوتقة من المنهمكين بشؤون الفن عالميا ومموّلين عالميين آمنوا بجدوى الفن في عالم معاصر يتعارك مع ذاته.

وبفضل سعيها المتواصل لدعم المهرجان وضخه بقوة متجددة تؤمّن تثبيته كحالة سنوية ثقافية، استمرت أليس مغبغب في الحفاظ على مواعيد إطلاقه وعلى تضمينه أفلاما منتقاة بروية شديدة لناحية فنيتها، ولكن أيضا لناحية مصداقيتها.

والمهرجان الذي تخطى أحداث ثورة السابع عشر من أكتوبر 2019 التي هزّت البلد بأسره، وتمكّن من الصمود عبر الاستعانة بتقنية العرض الافتراضي، وأقيمت خلاله جلسات نقاش مفتوحة وكثيرة تناولت مواضيع ثقافية تدور في فلك ما تمّ عرضه، يعود اليوم صامدا أمام احتداد الأزمة الاقتصادية والسياسية في لبنان.

ضد الإفلاس الثقافي

انطلقت فعاليات المهرجان في الرابع عشر من سبتمبر الجاري واستمر حتى السادس والعشرين منه بالاشتراك مع المعهد الثقافي الإيطالي في بيروت، محتفيا هذه السنة بمرور سبع مئة عام على رحيل الشاعر الإيطالي/ العالمي دانتي أليغييري (1 يونيو 1265 – 14 سبتمبر 1321) الملقب بـ"والد اللغة الإيطالية".

إثر سؤال مغبغب عن سبب إصرارها على إقامة مهرجان فني وسط أزمة مالية غير مسبوقة في لبنان؟ أجابت "هذا مهرجان غير تجاري ولا يبغي الربح. وهو مهرجان يقف كسائر النشاطات الفنية والثقافية عكس تيار الانهيار". وتقول مغبغب في البيان الصحافي للمهرجان "لأن الفن لا يمسّ القلب إلاّ إذا شارك في الصراع من أجل الكرامة، كان لا بد لـ'دانتي 700' أن يقترن بإرادة إعادة بناء أحياء بيروت المنكوبة. تشكّل الثقافة اليوم الحصن الأخير لمجتمعنا فيما كل ما دونها ينهار، والأهم من ذلك أن 'الإفلاس' المالي الذي تعاني منه الأكثرية الساحقة من اللبنانيين نريده ألاّ يتحوّل إلى إفلاس ثقافي وأخلاقي".

> المهرجان اللبناني احتفى هذا العام بمرور سبع مئة عام على رحيل «والد اللغة الإيطالية» دانتي أليغييري

ولأجل ذلك تمّ اختيار دارة داغر الشهير الذي "دمّره انفجار بيروت في الرابع من أغسطس 2020، وأعاد بناءه وتجديده وفق الأصول الفنية على يد مالكيه".

وتضيف مغبغب أن "المهرجان جمع في أيامه المعدودة سهرات حضورية غير افتراضية تنوّعت بين شعر وفن وموسيقى وأفلام".

وبناء على ما قالته منظمة المهرجان وما حدث على أرض واقعه يمكن أن نضيف ملاحظة هنا، هي أن هبوط قيمة الليرة اللبنانية جاء هبوطا فائق السرعة. ومع هذا الجنون الذي يقارب الخيال كان لا بد من أن يتمسّك الفن –بجميع هيئاته– بأطراف من خيوط حريرية برّاقة هي بمثابة نجاة من الانهيار التام.

إلى جانب ذلك يؤمن الكثيرون بأن لبنان قد أثبت لعدة مرات أنه كما يقع بسرعة غير متوقعة ينهض كذلك بسرعة هائلة. حينها ستتلقّفه الحياة الثقافية بجميع أياديها مُعلنة بداية حياة جديدة.

ومن هذا المنطلق تعوّل –على الأرجح– أليس مغبغب على هذا الاحتدام الذي يملك القدرة على التجدّد رافضا الاندثار في عزّ ظهور الأزمات.

حضور نوعي

لبّى دعوة مهرجان بيروت للأفلام الفنية الوثائقية كلّ من المؤلّف الموسيقيّ اللبناني نداء أبومراد وهو عميد كلية الموسيقى وعلم الموسيقى في الجامعة الأنطونيّة، ومجموعة الجامعة الأنطونيّة لموسيقى العصر الوسيط، والممثّل والمؤلّف سيزار كابيتاني الذي يعيش في فرنسا منذ سنوات وقد تخرّج من مدرسة الفنون المسرحية في ميلانو وله أعمال سينمائية وتلفزيونية في فرنسا وإيطاليا. كما صدرت له مؤخرا مجموعة قصص قصيرة بعنوان "الشظايا".

كذلك لبّت الدعوة إلى المهرجان الخبيرة في علم الاجتماع والأستاذة في اللغة والثقافة العربية في جامعة لويس في روما والعضو في المنظمة العربية – الإسلامية والمعرّبة فرانشيسكا ماريا كورّاو.

كما حضر المخرج نيكولا خوري الحائز على شهادة في الدراسات السمعية والبصرية من الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة، والحاصل على العديد من الجوائز العالمية عن أفلام له تنوّعت ما بين أفلام قصيرة ومتوسطة.

وشارك في افتتاح المهرجان المتخصّص في تاريخ الفن جوزيبي ريزو الذي يُعِدّ حاليا دكتوراه حول تاريخ الفن في جامعة هايدلبرغ. كما حضرت المهرجان الناشرة ديان دو سيلييه والأستاذة في الثقافة العربية والروائي/ الشاعر والصحافي اللبناني عبدو وازن الذي سبق أن شارك في مؤتمرات أدبية وثقافية داخل العالمين العربي والأوروبي وله مؤلفات أدبية عديدة نذكر منها "سبب آخر لليل" و"حياة معطّلة".

> وسط الجنون اللبناني المتكرّر يتمسّك الفن بأطراف من خيوط حريرية برّاقة هي بمثابة نجاة من الانهيار التام

وضم المهرجان أفلاما عديدة منها –إلى جانب "دانتي – ما هي الكوميديا"– فيلم عن فنان النهضة ساندرو بوتيتشيلي. ومن عناوين الأفلام الأخرى نذكر ثلاثة أفلام من إخراج اللبناني نيكولا خوري عن الهندسة المعمارية والرقص والفن، وتلا عرض هذه الأفلام نقاش حول أبعاده الفكرية وتمكّنه الفني.

وحضر إلى جانب تلك الشخصيات الثقافية المدعّوة للافتتاح جمهور من المهتمين الذين شاركوا جميعا على مدى أيام المهرجان القليلة بما يشبه احتفالا شعائريا، وسط هذا الظلام، باستمرار الأمل في مستقبل لبنان حتى قبل أن تبدو ملامحه واضحة في الأفق البعيد.

لوحة لبوتيتشيلي تعرض ضمن فيلم وثائقي يسرد مسيرته

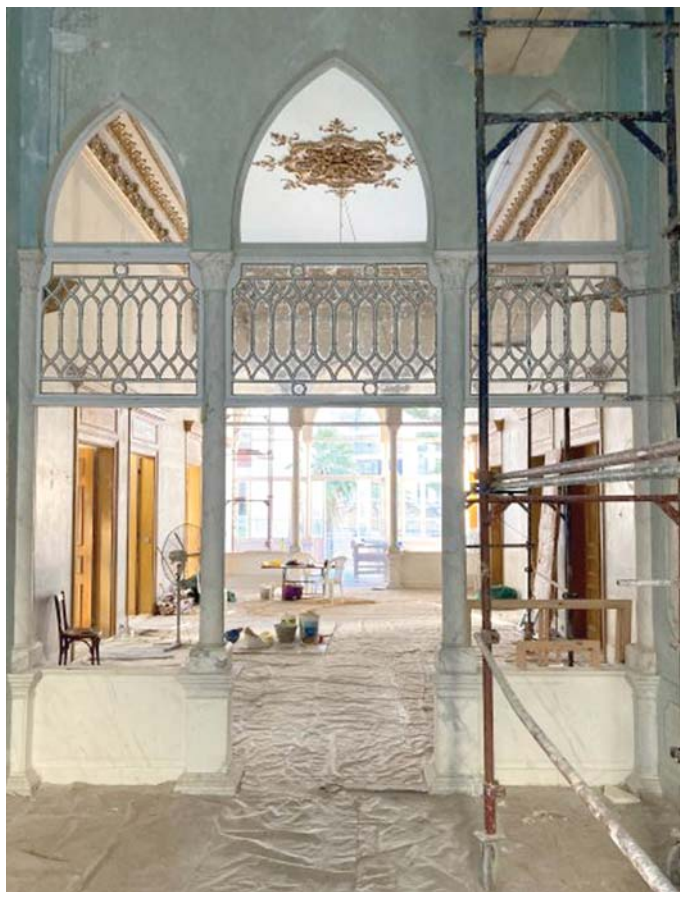

صورة لمبنى داغر الذي تعرّض للتدمير ثم أُعيد بناؤه

الأردنية غادة دحدلة تشكّل من عمارة مخيمات اللجوء وطنها المفقود

عبر ثلاثين عاما من عملها كفنانة ظلت أبواب مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ونوافذها تشكّل مصدر الإلهام والعاطفة لدى التشكيلية الأردنية غادة دحدلة، مُستندة في ذلك على تشكيلة من الرموز والأنماط الشرقية المستخدمة في التطريز والسجاد والحرف الأخرى المعروفة في المنطقة.

عمّان - تستوحي التشكيلية الأردنية غادة دحدلة الأطر التي ترسمها في لوحاتها من شكل النوافذ والأبواب المنتشرة في العمارة في مخيّمات اللجوء، وتسكب داخل هذه الأطر ألوانها التي تتّسم بالقوة والحدة واعتماد الأنماط الزخرفية الشرقية والرموز ذات الدلالات، إلى جانب استلهامها خطوط الكوفية الفلسطينية المتعرّجة وذات الحياكة التربيعيّة والتي أصبحت رمزا أيقونيا لحضارة فلسطين وتأكيدا للنضال والهوية والمقاومة. وقد جاءت لوحاتها تلك ذات ألوان مبهجة من الأخضر والأزرق والأبيض، الأمر الذي يمنح المُشاهد إحساسا بالسكينة والسلام. وعن هذا النمط، تقول دحدلة "يستحق أن يبقى مرفوعا ومطبوعا في عقولنا وقلوبنا إلى الأبد".

ومن خلال تقاطع نمط الكوفية مع التشكيلات التربيعيّة ضمن طيف واسع من الألوان، وإدخال خطوط خلفية غامضة تذكّرنا بقصص قراءة فناجين القهوة في الذاكرة الشعبية، لتخلق الفنانة عبرها عوالم صغيرة ثقافية واجتماعية، تستثير فيها عناصر جمالية وإيجابية في فن العمارة العفوية وطبقات الألوان الزاهية والمواد المتقاطعة في مشهد المخيّم. كما أن استخدامها للألوان الزيتية يفتح المجال أمام انتقال سلس لهذه التشكيلات المتقاطعة كي تعطي تأثيرا شفّافا ومشرقا.

وتنفّذ دحدلة تكويناتها التشكيلية ضمن بنائية قابلة لاستقبال المساحات المربّعة والمستطيلة، بما يستعيد شكل النافذة ويفيض عليه، مقدّمة صياغتها باقتدار العارفة لطبيعة العلاقات بين وحدات العمل الفني والمساحات اللونية ودرجات الهارموني. ويتّضح من خلال هذه المربعات قوة الأداء والتعبير وحسّ عميق بالتوازن.

وترتبط أشكال الفنانة بحوار وتفاعل مستمرين مع السطح التصويري، وقد ساعدها في ذلك ما تملكه من تقنيات ومهارات عالية في أكثر من خامة وأسلوب مثل الدمج بين الرسم والغرافيك والطباعة وتصنيع الورق يدويّا.

كما تعتمد أعمال الفنانة الأردنية على الطبقات اللونية مع استخدام مواد تذكّر بطبيعة الحياة والعيش في المخيّمات، فهناك قد تُعلّق على الجدران ستائر متعدّدة الألوان أو قطع ملابس أو أقمشة، ومن خلال تلك التدرجات اللونية والتوازن البصري تحقّق دحدلة قوة في التأثير في وجدان المشاهد واستثارة مشاعره.

وتعتمد الفنانة في الغالب على الأسلوب الفني التجريدي، وهي تحاول في ذلك تقديم قراءة بصرية لما يختفي خلف تلك النوافذ والأبواب وكأنها بوتقات خارجية يمكن من خلالها التكهّن بما تحتويه من إشارات وقراءات وتأويلات للحكايات المتعدّدة، فتلك الحكايات ذات طابع إنساني عميق لأنها ترتبط بذاكرة دحدلة نفسها عن وطنها المفقود وبحثها عمّا يصلها به حتى لو اندمج الواقعي بالمتخيّل خلال ذلك.

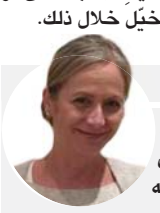

غادة دحدلة

الرسم مناسبة للانفتاح على الآخر المختلف دون السعي لاستدرار شفقته

وتستخدم الفنانة في إحدى لوحاتها الألوان القوية وخاصة اللون الأحمر، لتقدّم لوحة فيها قطع لونية متنوّعة وموصولة بعضها ببعض كما لو أنها طُرّزت يدويّا، حيث تُبرز باللون الأبيض مواقع الغُرَز أو القُطب، وهي تظهر غير منتظمة أو مرتّبة بالصورة المُثلى، مع توشيحات بالأزرق الذي يبدو كماء أو كسائل سُكب فوق تلك الأقمشة.

وفي لوحات أخرى جاءت الألوان قاتمة ومعتمة، ولم تحافظ القطع على شكلها الذي يُقارب المربّع، وهي تمنح إحساسا قويا عبر تلك التشكيلات الهندسية من المثلث والمستطيل والطبقات التي تتراكم فوق بعضها بعضا مذكّرة بآلية عمل الذاكرة.

وفي لوحة أخرى، عمدت دحدلة إلى الخلفية الزرقاء الباردة المستوحاة من طلاء أبواب البيوت القديمة، وفي منتصف اللوحة فضاءات لونية تُقارب شكل قفل المفتاح القديم، وقد اعتمدت فيها على البنّي وتدرجاته لتُظهر مواضع من الصدأ أو القدم، وأحيانا لتُظهر مادة الباب الأساسية المكوّنة من الخشب.

وتبدو الفنانة في لوحاتها كأنها تتتبّع تفاصيل الأبواب والشبابيك، وهي تلتقط تلك التفاصيل الصغيرة على القماشة، كما لو أنها تضعها تحت مجهر عدسة مكبّرة لتجعل الرؤية أوضح ويُمكن القول إنّ الشبابيك والنوافذ وما يتّصل بها، موضوعات محوريّة في لوحات دحدلة التي تبرز فيها الرموز والإشارات اللونية محيلة إلى مفهوم المربّع والمستطيل والتحوّلات البصرية المرتبطة بهما.

وولدت غادة دحدلة في عمّان عام 1963 ودرست الفن في تورنتو بكندا. بدءا من عام 1984 وهو تاريخ أول معرض شخصي أقامته في عمّان دأبت على إقامة معارض شخصية ما بين عمّان وتورنتو إضافة إلى مشاركتها في معارض جماعية في مدن عالمية مختلفة خاصة بأوروبا والشرق الأقصى.

ودحدلة التي فازت بالعديد من الجوائز داخل كندا حرصت منذ البدء على أن تهب موضوعها المحلي طابعا إنسانيا تتخطّى من خلاله الحكاية الشخصية، وهي في ذلك تقول "رأيت في الرسم مناسبة للانفتاح على الآخر المختلف من غير أن أسعى لاستدرار شفقته، لذلك استبعدتُ كل ما يحيط بالوحدات الجمالية التي استعرتها من ماضيّ الشخصي كل ما يمتّ للعاطفة بصلة"، فصارت ترسم بقوة المخيلة التي تعلو بتلك الوحدات على مرجعيتها المباشرة.

أيقونات حضارية ترمز للسلام والسكينة